وراثة الخطية، أم سيادة الموت؟

مفارقة التعليم اللاهوتي بين أغسطينوس،
والآباء أثناسيوس الرسولي، وذهبي الفم، وكيرلس الكبير

دكتور

جورج حبيب بباوي

ديسمبر ٢٠١٣

www.coptology.org

وراثة الخطية، أم سيادة الموت على الجنس البشري؟

الخلاصة:

لم يعلِّم القديس اثناسيوس الرسولي –على الإطلاق– بوراثة ذنب آدم وخطية آدم حسب تعليم أوغسطينوس، بل بسيادة الموت والفساد وانتشاره في كل الجنس البشري كما ورد في كل كتبه.

قد يبدو غريباً أن يبدأ مقالٌ ما بالنتيجة التي من المفروض أن يتوصل إليها القارئ بعد قراءة المقال، لكن هذا الاستغراب يتبدد إذا عَرفتَ –عزيزي القارئ– أن همنا أن نضع تحت بصرك أولاً ونلفت انتباهك بشدة إلى القاعدة التي انتهينا إليها نتيجة هذه الدراسة، وغيرها من دراسات سبق لنا نشرها[١]، في عبارةٍ قاطعة؛ حتى نزيل كل التباس قد ينطلي على البعض نتيجة اقتطاعهم نصوص الآباء من سياقها، وبالتالي يُسقِطون عليها ما تخمَّر في عقولهم من تعليم، إن عن عدم وعيٍّ، أو إن عن جهل، فينتهون إلى ما لم يقله هذا الأب أو ذاك.

---

(١) يمكن للقارئ مراجعة كتابنا: القديس أثناسيوس الرسولي في مواجهة التراث الديني غير الأرثوذكسي، منشور على موقع الدراسات القبطية واللاهوتية www.Coptology.com.

مقدمة

إذا كان بعضٌ من الأساقفة قد برعوا في تزوير شرائط الكاسيت لنيافة الأنبا متياس أسقف المحلة، ولكاتب هذه السطور من قبله، وقد وجدوا ذلك سهلاً ميسوراً، إلَّا أن تزوير كتابات ونصوص الآباء، وخصوصاً أثناسيوس، أضحى أمراً مستحيلاً في ظل توافر هذه الكتابات وتلك النصوص بكل اللغات الحية، وأصبح النص اليوناني لكتاب تجسد الكلمة للقديس اثناسيوس متاحاً ليد كل قارئ بعد أن نشره معهد القديس فلاديمير بنيويورك في طبعةٍ حديثةٍ في ٢٠١٢ – ٢٠١٣.

وقد ظنَّ الأنبا بيشوي السكرتير السابق للمجمع المقدس، أنه يستطيع أن يلصق تعليم "الخطية الأصلية" بالقديس أثناسيوس، إذا وجد في كتاباته كلمة "أصل"، أو "بداية"، وقد زُيِّن له أنه وجد ضالته، إلَّا أن ذلك هو أبعد ما يكون عن الحق والحقيقة. ذلك أن تعبير "الخطية الأصلية" هو تعبيرٌ لاتيني لم يُعرف في اللغات القديمة اليونانية والقبطية والسريانية في زمن الآباء. بل كان أول من استخدمه هو القديس أوغسطينوس. وتعبير الخطية الأصلية *Peccatum Originale* في شرح أغسطينوس لرسالة رومية، وبالذات في رسالته إلى *Simplicianum* هو تعبيرٌ سابق على ظهور بدعة بلاجيوس. فالدقة التاريخية، يحددها تاريخ المصطلح نفسه، فهو تعبير لم يظهر بالمرة عند الآباء الذين كتبوا باليونانية، ولم يُعرف هذا المصطلح في اللغة اليونانية إلَّا في المؤلفات اليونانية الدفاعية التي كُتِبَت لشرح الإيمان الأرثوذكسي رداً على جهود الكاثوليك.

يكفي في هذا المجال أن نقتبس العبارة التي وردت في الفصل ٢٠ من كتاب تجسد الكلمة، حيث يقول أثناسيوس:

"فإنه قدَّم ذبيحةً عن الجميع، فأسلَمَ هيكله للموت عن الجميع أولاً: لكي

يبررهم من المعصية الأولى، وثانياً: لكي يثبت أنه أقوى من الموت، مُظهراً جسده الخاص به أنه عديم الفساد، وأنه باكورةُ القيامة للكل" (٢٠: ٢ راجع ترجمة د. جوزيف فلتس، ص ٥٧).

"المعصية الأولى" أو "الخطية الجدية"

ليس هذان التعبيران مجرد مصطلح يختلف عن مصطلح "الخطية الأصلية"، بل التعليم الصحيح للكنيسة الأرثوذكسية، فما هو الخلاف الجوهري؟

في الفصول: الخامس والسابع والتاسع والعاشر من كتاب تجسد الكلمة للعظيم أثناسيوس، يظهر لنا الفرق الجوهري من ذات شرح المعلم السكندري نفسه.

أولاً: فساد الموت الطبيعي، وسيادة الموت بسبب المعصية.

"لكن البشر تحولوا إلى أعمال الفساد الطبيعي وصاروا هم أنفسهم سبباً فيما حدث لهم من فسادٍ بالموت ... لكن بحسد إبليس دخل الموت إلى العالم (سفر الحكمة ٢: ٢٣ – ٢٤ وهو إحدى مكونات صلاة الصلح في القداس الباسيلي؛ لأن الموت هو الموضوع الأخطر من الخطية)، وبعدما حدث (الموت) بدأ البشر يموتون، هذا من جهة ومن جهة أخرى، بدأ الفساد يسود عليهم، بل **صار له سيادة على كل البشر أقوى من سيادته الطبيعية** وذلك لأنه حدث نتيجة عصيان الوصية .." (٥: ١ – ٢ – راجع ترجمة د. جوزيف فلتس).

"فالإنسانُ فانٍ بطبيعته لأنه خُلق من العدم" (٤: ٦). هذا هو الفساد الطبيعي. وبقية النص: "إلَّا أنه بسبب خلقته على صورة الله الكائن كان ممكناً أن يقاوم قوة الفناء الطبيعي ويبقى في عدم فناء" (٤: ٦).

والفناء هو هدم الصورة الإنسانية، أي صورة الله التي وُهِبَت للإنسان؛ لأن

الموت يعيد الإنسان إلى التراب، وهذا هو فناء الإنسان، وهو لا يعني العدم، لأن الإنسان "بنعمة الاشتراك في الكلمة كان يمكنه أن يفلت من الفساد الطبيعي لو أنه ظل صالحاً". ولاحظ هنا أن القديس أثناسيوس يتحدث بصيغة الجمع وليس بصيغة المفرد، ولكن لا فرق (٥: ١)، ولذلك صار للموت "سيادةٌ شرعيةٌ"، أي قانونية، لأنه جاء بحكم إلهي من الله نفسه: "موتاً تموت"؛ ولذلك يقول أثناسيوس العظيم: "وكان من المستحيل التهرب من حكم الشريعة، لأن الله هو الذي وضعه بسبب التعدي" (٦: ٢) هكذا جاء حكم الموت (٧: ١) وكان حكماً إلهياً.

وكان هلاك الجنس البشري حتمياً "لأن الجنس البشري كان سيهلك بالتمام لو لم يكن رب الكل ومخلص الجميع ابن الله قد جاء ليضع حداً للموت" (٩: ٤).

ثانياً: مَلَكَ الموتُ على البشر.

يقول المعلم: "وإذ رأى الجنس البشري العاقل يهلك وأن الموت يملك عليهم بالفناء، وإذ رأى أيضاً أن حكم التعدي (عقوبة التعدي) قد **خلَّدت الفناء** فينا وأنه من غير اللائق أن يبطُل القانون أو الحكم أو الشريعة دون أن يُنفذ" (٨: ٢).

إذن، كان حكم الموت يعني خلود الإنسان في الموت، وهو فناء الحياة الإنسانية، ولكن هنا تفترق الطرق بين القديس أثناسيوس وتعليم الغرب برمته: الكاثوليكي والإنجيلي معاً؛ لأن الحكم = الشريعة = القانون = الناموس، هو أداة الموت، أي العقوبة بالمعنى الكتابي لا بالمعنى السائد، أي الانتقام والتشفي من الخاطئ، ولذلك يقول أثناسيوس العظيم في ذات الفصل وبكل ما يمكن أن تعبِّر عنه اللغة الإنسانية من دقةٍ ووعي: "فإنه (الله) رَحِمَ جنسنا وأشفق على ضعفنا وتراءف على فسادنا، وإذ لم يحتمل أن يرى الموت وقد صارت له السيادة علينا لئلا تفنى الخليقة ويتلاشى عمل الله؛ فقد أخذ لنفسه جسداً لا يختلف عن جسدنا" (٨: ٢).

ومنطقياً، إذا كانت الشريعة أو القانون أو الحكم أو العقوبة، أو ما يشاء

تلاميذ اللاهوت الغربي استخدامه من مصطلحات، هي أداة الموت، فإن الإنسان لا يمكن يخلص بنفس الأداة، أي لا يخلص بالشريعة أو القانون، وهو ما جعل رسول الرب يقول إن "بر الله قد ظهر بدون الشريعة (الناموس)" (رو ٣: ٢١)، وإن كانت الشريعة والأنبياء يشهدون له، ولكن رأفة الله ومحبته للجنس البشري –وهنا يجب أن ننتبه تماماً– ليست ثمرة خضوع الله للشريعة، لأن الشريعة وُضِعَت لكي تمنع التعدي، أي تعدي الإنسان، فهي من أجل الإنسان وليست من أجل الله؛ لأن الله لا يتعدى شريعةً، فهو ليس مخلوقاً مثل الإنسان.

وثمةُ سببٍ آخر: إذا كانت الشريعة أو القانون أو حكم الموت هو سبب موت الإنسان، فإن هذا الحكم لن يكون هو نفسه سبب خلاص الإنسان، والإدعاء بأن يسوع قَبِلَ حكم الموت لكي ينقذ الإنسان من الموت، هو إدعاءٌ فظيع؛ لأنه يعني أن يسوع يجب أن يبقى في فساد الموت؛ لأن "موتاً تموت" – كما يقول أثناسيوس نفسه– تعني "البقاء في فساد الموت إلى الأبد" (٣: ٥). لكن يسوع أباد الموت، وعندما أُبيد الموت صار الصليبُ قوةً وخلاصاً. يسوع قَبِلَ الموت لكي يبيده لا لكي ينفذه لأن يسوع لم يكن خاطئاً بل هو" قدوس وبلا شر" (عب ٧: ٢٦). وقداسة يسوع لا تسمح بأن يسود عليه الموت، بل تُبطل الموت، وهو ما تعبِّر عنه الليتورجية بتعبير فخم:

"الموت الذي دخل إلى العالم بحسد إبليس،

هدمته".

لذلك حرص القديس اثناسيوس على تأكيد تطوع المسيح رب الحياة:

* "بذل جسده للموت" (٨: ٤).

* "قدم للموت ذلك الجسد" (٩: ١).

* "تقدمة مقدسة وذبيحة خالية من كل عيب" (٩: ١).

* وببذله لهذا الجسد كتقدمةٍ مناسبةٍ، **فإنه رفع الموت فوراً**" (٩: ١، ١٠: ٥).

* "قدَّم هيكله الخاص وأداته البشرية فديةً" (٩: ٢).

ولذلك يقول:

* "أبطل الموت (١٠: ١).

* "وضع نهاية لشريعة (ناموس الموت) الذي كان قائماً ضدنا،

وصنع بدايةً جديدةً للحياة" (١٠: ٥).

ثالثاً: الخطية لا تورَّث:

في المقالة الثالثة في الرد على الأريوسيين يؤكد القديس أثناسيوس إلوهية الكلمة بما أعلن في أعمال الإلوهة في الجسد، فقد جاء لكي يحرر الإنسان:

* "لأنه لو كانت أعمال إلوهية الكلمة لم تحدث بالجسد،

لَمَا كان الإنسان قد تألَّه،

وأيضاً لو أن ضعفات الجسد الخاصة لم يأخذها الكلمة،

لَمَا كان الإنسان قد تحرر منها تماماً" (٣: ٣٣).

قَبْل التجسد:

ولكن التجسد والموت والقيامة أباد كل شيء. ولأن القديس أثناسيوس لا يفصل بين الخطية والموت، يقول إن التجسد حرر الإنسان، بعكس حال الإنسان قبل التجسد، إذ يقول:

* "ظل الفساد والخطية باقيان في الإنسان،

كما كان حال الجنس البشري" (٣: ٣٣).

الذين وُلِدوا بلا خطية قبل تجسد الكلمة:

"ولهذا فهناك أمثلة لكثيرين قد تقدسوا وتطهروا من كل خطية مثل أرميا الذي تقدس من الرحم، ويوحنا الذي هو لا يزال جنيناً في البطن ارتكض بابتهاج عند سماع صوت والدة الإله مريم (لو ١: ٤٤)، ومع ذلك فقد "ملك الموت من آدم إلى موسى وذلك على الذين لم يخطئوا على شبه تعدي آدم" (رو ٥: ١٤). وهكذا ظل البشر مائتين وقابلين للفساد كما كانوا، ومعرَّضين للأوجاع الخاصة بطبيعتهم" (٣: ٣٣).

والتقديس من البطن والولادة بلا خطية يعني أن الخطية لا تورَّث؛ **لأن الخطية هي فعل إرادي يجب أن يتوفر فيه الاختيار الإرادي، أي العمل الصادر فعلاً عن عقل وإرادة الإنسان**، وهو ما عبَّر عنه الرب يسوع المسيح نفسه بقوله: "من القلب تخرج ....."، ثم قدم قائمةً طويلةً تشمل الأفكار الشريرة، زنا، قتل، جهل (مر ٧: ٢١).

بعد التجسد:

"أمَّا الآن، فإذ قد صار الكلمة إنساناً، وجعل الأمور الخاصة بالجسد

خاصةً به، فلم تعد ضعفات الجسد تسود على الجسد بسبب الكلمة الذي جاء في الجسد، فقد انهزمت الأوجاع بواسطته، ومنذ ذلك الحين فصاعداً لم يبقَ الناسُ بعد خطاةً وأمواتاً بحسب أوجاعهم، بل قد قاموا بقوة الكلمة، وصاروا غير مائتين وغير فاسدين وأقوياء دائماً" (٣: ٣٣).

بداية الخلقة الجديدة في تجسد ابن الله:

هكذا يشرح المعلم الإيمان:

"عندما وُلِدَ الجسد من والدة الإله مريم، فإن الكلمة ذاته يقال إنه قد وُلِد، وهو الذي يعطي بداية الوجود للكائنات الأخرى لكي ينقل بداية تكويننا إلى نفسه، ولكي لا نرجع فيما بعد كمجرد ترابٍ إلى ترابٍ، بل بارتباطنا (العلاقة الوثيقة الكيانية) بالكلمة الذي من السماء، فإننا نُحمَل إلى السموات بواسطته (فيه)" (٣: ٣٣).

"أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له":

ويُكمل المعلم:

"فإنه بطريقة مماثلة قد نقل إلى ذاته أوجاع الجسد الأخرى، لكي يكون لنا شركة في الحياة الأبدية –ليس كبشر (مولودين ولادة بيولوجية)، بل أيضاً لأننا صرنا خاصين بالكلمة" (٣: ٣٣ ص ٦٤ من الترجمة العربية).

ولم تستطع الترجمة العربية ولا حتى الإنجليزية أن تنقل المعنى الذي أراده القديس أثناسيوس، فهو حسب الترجمة الانجليزية:

"إن الجسد صار كلمة *Hence forth made word*"، ولكن حسب اليونانية: λογωθειστης τῆς σαρκος وربما تكون الترجمة الأقرب: "صار الجسد

ناطقاً بقوة اللوغوس".

تزييف التعليم الشرقي:

إذن، تعبير "البداية" أو "الأصل" لا يغيِّر المعنى اللاهوتي، إذا كان اثناسيوس نفسه لا يعلِّم بالوراثة، لأن وراثة الخطية هي فكرة مانوية لصقت بالزواج والولادة الجسدانية. والذي زيَّف كلمات المعلم لم يحاول حتى الاقتراب من نص (المقالة الثالثة: ٣٣ ضد الأريوسيين). والذين يلعبون بالكلمات –ولا داعي لذكر الأسماء– يجب عليهم الالتزام بالأمانة.

أمَّا عن "البداية" أو "الأصل"، يقول اثناسيوس:

> "لقد صار إنساناً لكي يؤلِّهنا في ذاته، ووُلِدَ من امرأة عذراء لكي ينقل إلى ذاته جنسنا العاصي أو الخاطئ؛ لكي نصبح جنساً مقدساً وشركاء الطبيعة الالهية كما كتب المبارك بطرس" (الرسالة إلى أدلفوس فقرة ٤ ص ٥٧٦ من الترجمة الانجليزية).

وكما قلنا إن البحث عن كلمة "أصل" عند اثناسيوس لا تفيد؛ لأن "الأصل" هو "البداية"، والبداية الجديدة هي هدف تجسد الرب.

أمَّا نحن، فلنا أصلٌ فعلاً في آدم، ومنه أخذنا الموت.

وراثة الموت:

لم يستخدم القديس اثناسيوس تعبير الوراثة أي وراثة الخطية بالمرة، بل كان سقوط آدم هو سقوط الإنسانية في الموت. ومع أن الترجمة العربية للقس مرقس داود قالت إننا ورثنا الفساد، إلَّا أن المراجعة الدقيقة للنص في اليونانية وفي الترجمة العربية الجيدة جداً للدكتور جوزيف فلتس تؤكد:

"كما أن البشر **صاروا إلى الفساد** بسبب التعدي، فإنهم بسبب التوبة يمكن أن يعودوا إلى عدم الفساد وللخلود، لكن التوبة تعجز عن حفظ أمانة الله لأنه لن يكون الله صادقاً إن لم يظل الإنسان في قبضة الموت (لأنه تعدى، فحكم عليه بالموت كقول الله الصادق)، ولا تقدر التوبة أن تغيِّر طبيعة الإنسان، بل كل ما تستطيعه هو أن تمنعهم عن أعمال الخطية" (تجسد الكلمة ٧: ٢-٣ ص ١٨-١٩)[١].

كان من الممكن لأثناسيوس العظيم أن يقول إننا ورثنا الفساد، لو كان تلميذاً لماني *Mani*، ولكن **الفساد هو ولادتنا من طبيعة ميتة**، أي ما يعني أننا نولد مائتين، ولذلك السبب تُوهَب لنا الحياة الجديدة في الرب يسوع المسيح.

شرح القديس كيرلس الكبير لنص رو ٥: ١٢ – ١٩:

السقوط:

"كما ذكرتُ، الموتُ جاء من الخطية وعلى الإنسان الأول، وهو أصل الجنس البشري. وهكذا أُصيب الجنس البشري كله. والحية كانت صانعة الخطية وأخذت قوة على آدم بسبب ضعف آدم، وبذلك كسبت الحية دخولاً في العقل الإنساني من أجل القصد الشرير "ضلوا وفسدوا" (مزمور ١٤: ٣)،

---

(١) يمكن أيضاً مراجعة ترجمة الأب حنا الفاخوري لكتاب تجسد الكلمة، والمنشور في أقدم النصوص المسيحية، سلسلة النصوص اللاهوتية ٧، منشورات المكتبة البولسية، ١٩٨٨، ص ١٩ حيث يقول: "كان لا بُد أيضاً من الحفاظ، من ناحية أخرى، على مبدأ صدق الله في ما سنَّه بالنسبة إلى الموت. كان من غير المقبول، في سبيل فائدتنا وبقائنا، أن يظهر الله أبو الحقيقة كاذباً. ماذا إذن، وما كان على الله أن يفعل؟ أن يقتضي البشرَ التوبةَ عن معصيتهم؟ قد يبدو ذلك جديراً بالله: **فكما انتقل البشر من المعصية إلى الفساد**، كذلك يعودون إلى الانتقال من التوبة إلى عدم الفساد. ولكن التوبة لا تفي بما يليق بالله ... ولكنها تضع حداً للخطايا فقط. فلو كان الأمر موقوفاً على الخطية لا على ما يعقبها من فساد، لكانت التوبة كافية. ولكن ما العمل والمعصيةُ قد سبقت، **والبشر قد أصبحوا خاضعين للفساد الناتج عن طبيعتهم، ومجردين من نعمة المماثلة لصورة الله؟**".

وتحول وجه الإنسانية بعيداً عن الله القدوس. ومنذ بداية أيام الإنسان ازداد فيه ونما الميل للشر (تك ٨: ٢١)، وصارت حياتنا كلنا ضد ما هو عقلاني (صحيح) هكذا كسب الموت قوة تأكلنا كلنا كما قال النبي: "امتدت قوة الموت وفتح الموت فمه دون يغلقها" (أش ٥: ١٤ س)، ولأننا جميعاً كررنا تعدي آدم، أخطأنا كلنا ونلنا ذات الحكم".

خطية الإنسان الأول والخلاص:

وينقل إلينا القديس بولس أفكاره لكي يصل إلى هذه النتيجة: "كما بإنسان واحد دخل الموت إلى العالم .." لأنه حُكِمَ علينا في آدم –كما ذكرت سابقاً– ومن هذا الجذر الأول جاءت اللعنة لأن الموت عَبَرَ إلى كل إنسان.

لكننا تحررنا ووُلِدنا لحياة البر من فوق في المسيح.

لقد تعدَّى أبوينا الوصية التي أُعطيت، وفقدوا الشركة مع الله، واختبروا الغضب الإلهي، وسقط آدم في الفساد. عندما دخلت الخطية إلى الطبيعة الإنسانية، صار كل البشر خطاةً على كل الأرض، وربما قال أحدٌ ما (معترضاً): "نعم لقد سقط آدم وتعدى الوصية وحُكِمَ عليه بفساد الموت، فكيف صار الكل خطاة بسبب آدم؟ لماذا يُحسب فشله علينا كلنا؟ وفي إيجاز كيف يُحكم على أشخاصٍ لم يولدوا بعد ويُحكم عليهم مع آدم؟ مع أن الله يقول: "الآباء لا يموتون بسبب أبنائهم ولا الأبناء بسبب آبائهم، وإنما كل من يخطئ يموت" (تث ٢٤: ١٣ – ٢ أخبار ٢٥: ٤ س).

فما هي إجابتنا على هذا الاعتراض؟

حقاً، النفس التي تخطئ تموت. ونحن صرنا خطاة بسبب معصية آدم.

هو خُلِقَ حراً من الفساد ومُنِحَ الحياة، وكان متناغماً مع الحياة في الفردوس. وكان عقله منشغلاً دائماً في تأمل الرؤيا الإلهية[١] وكان جسده ينمو زاهياً بشكلٍ فائق. وكل الشهوات كانت تحت سيطرة الإرادة؛ لأن الانغلاب من اللذة والنشوة لم يكن قد دخل طبيعة الجسد، ولا عدوان هذه الرغبات على أعضاء جسدنا في حركته الطبيعية كان قد بدأ، ولكن بهذه الوسيلة، عصيان شخص واحد آدم، أصاب جنسنا مرض الخطية، وعند ذلك صار الكل خطاةً، ليس لأنهم أخطأوا في آدم، لأنهم لم يكن لهم وجود، ولكن لأن الكل اشترك في طبيعة آدم، فصار الكل خاضعاً لشريعة الخطية، وفي آدم فسدت الطبيعة بالتعدي وغلبتها الشهوات، هكذا -بنفس الطبيعة- بعد ذلك جُدِّدَت إلى الحرية في المسيح؛ لأنه كان في طاعة الله الآب ولم يخطئ" (مجلد ٧٤ عامود ٧٨٤).

حاجتنا القصوى الآن إلى استعادة القراءة الدقيقة لرسالة رومية (٥: ١٢-١٩) باتت تدق بعنف؛ لأن الفرق الدقيق بين الشرق والغرب هو في نهاية (٥: ١٢)، وهو هنا ليس النص وحده، ولكن تاريخ العقائد كلها وتطور الفكر الغربي له تاريخ معروف يدرس في كل معاهد اللاهوت[٢].

---

(١) يقول أبونا القديس أثناسيوس الرسولي في رسالته ضد الوثنيين: "غير أن البشر، إذ ازدروا بالأمور الأسمى متحاشين بالمرة محاولة فهمها، بدأوا في البحث عن الأمور الأقرب إليهم ... وبدأوا يفكرون في نفوسهم فقط، وبتفكيرهم في نفوسهم فقط أدركوا ما لأجسادهم وكل أحاسيسهم، فخدعتهم ذواتهم وسقطوا في شهوات أنفسهم، وإذ فضَّلوا التأمل في شهواتهم الذاتية عوضاً عن التأمل في الإلهيات، وإذ انشغلوا بهذه الأمور ورفضوا أن يبتعدوا عن هذه الأحاسيس القريبة منهم، أوقعوا نفوسهم تحت عبودية لذاتهم الجسدية، فاضطربت نفوسهم وارتبكت بكل أنواع الشهوات". أنظر: ضد الوثنيين، مؤسسة القديس أنطونيوس، سلسلة نصوص آبائية ١٧٩، ترجمة د. جوزيف موريس فلتس، القاهرة ٢٠١٣، ص ١١ وما بعدها.

(٢) راجع على سبيل المثال:

J.N.D. Kelly: Early Christian Doctrines عدة طبعات

رو ٥: ١٢ حسب القراءة للنص اليوناني:

القراءة تختلف لأن نهاية ٥: ١٢ هي "إذ أخطأ الجميع"، وهي القراءة العامة في الشرق والغرب معاً. لكن بعد ذلك εφ ώ πàντες ῆμαρτον.

* حسب الإعراب: إذا كانت εφ ώ - eph ho في صيغة neuter صار المعنى: بسبب أن الموت هو الذي جاء مع الخطية وهي سبب الموت ولذلك "مات الجميع بسبب خطية كل شخص.

* إذا كانت εφ ώ - eph ho في صيغة masculine pronoun قرأنا النص: بأن الجميع بسبب الموت اخطأوا. وتصبح القراءة الدقيقة هي: "دخل الموت إلى العالم بالإنسان الواحد وبسبب الموت الذي جاء مع الخطية انتشر الموت لكل البشر لأن كل البشر اخطأوا".

ناقَش هذا النص *J.A. Fitzmeyer* في مجلد معروف باسم *The Jerome Biblical Commentary p307-308* وراجع أيضاً نفس مناقشة القراءة عند *J. Myendorff* في كتابه *Byzantine Theology* نُشر عام ١٩٨٧ ص ١٤٣-١٤٦).

* وقد قرأ سيماخوس *Symmachus* أحد مترجمي الترجمة السبعينية، نص المزمور (٥٠: ٥) هكذا: "حُبِلَ بي في رحم أمي"، ويؤكد تكوين ٨: ٢١ هذه القراءة بأن "البشر منذ ولادتهم لديهم ميل للشر"، وهو ميلٌ يمكن فهمه من فقدان عطية الروح القدس، وهو ما

Jasto L. Gonzalez, A History of Christian Thought 2 vols.

J. Pelikan: The Christian Tradition 5 vols.

جعل الصورة الإلهية في الإنسان مزيفةً، زيَّفها الإنسانُ نفسه[١].

وحسب شرح القديس كيرلس -(تفسير يوحنا ٢: ١ مجلد ١ ص ١٨٣): "لأن الروح القدس فارق الطبيعة الإنسانية" (راجع أيضاً الحوار على الثالوث القدوس مجلد ٧٥: ١٠١٣ وحوار ٧ مجلد ٧٥: ١١١٣)- صار الإنسان مزيَّفاً παρὰσημον وقد شرح القديس كيرلس هذا في نصٍ طويل عن ردِّ الروح القدس بعد قيامة الرب من الأموات عندما نفخ وقال اقبلوا الروح القدس (يوحنا ٢٠: ٢١ - ٢٢)، وقد سبق ونشرنا النص[٢] لأن ذات النفخة تُعطى في سر المعمودية، ولذلك عندما يقول الرسول إن الرب يسوع منحنا "تجديد الروح القدس"، فهو أعطى لنا العطية التي فقدناها بالسقوط. (راجع تيطس ٣: ٤-٢٧).

أما القديس أوغسطينوس، فقد قرأ النص بأن "الجميع أخطأوا في آدم"، ومن هذه القراءة توصل إلى الاشتراك في ذنب آدم نفسه.

الخطية عملٌ إرادي خاصٌ بكل خاطئ:

ولأن الخطية عملٌ إرادي شخصي يقول ذهبي الفم في العظة ٤٦ على إنجيل متى (مجلد ٥٨: ٥٦٩):

---

(١) يقول القديس أثناسيوس: "غير أن النفس وقد عشقت الملذات، فإنها بدأت في التمتع بها بطرق متعددة، وإذ هي سهلة الحركة بطبيعتها، فإنها رغم ابتعادها عن الخير، لم تكف عن الحركة، فهي تتحرك إذاً، لكن ليس نحو الفضيلة ولا حتى لكي ترى الله، لكن للتفكير في أمور لا وجود لها محولةً القوة التي تملكها في داخلها لتسيء استخدامها في شهواتٍ تخترعها ... إلَّا أن النفس، وبسبب ابتعادها عن التأمل في الخير والتحرك في محيطه، قد بدأت منذ ذلك الحين في الانحراف والتحرك تجاه كل ما هو عكس ذلك". أنظر: ضد الوثنيين، مرجع سابق، ص ١٥ – ١٧.

(٢) د. جورج حبيب بباوي، آلام المسيح وقيامته في إنجيل القديس يوحنا للقديس كيرلس السكندري، تفسير الإصحاحات ١٨ – ٢١، ابريل ١٩٧٧، ص ١١٠ وما بعدها. راجع أيضا الترجمة التي أنجزها الدكتور نصحي عبد الشهيد، ونشرها المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية ١٦٨، القاهرة ٢٠١٢، ص ٥٠٤ وما بعدها.

"إن نفوس الأطفال ليست شريرة لأن الرب دعى الأطفال إليه"[١].

وهو ما سبق وأكده في العظة ٢٨: ٣ على نفس الإنجيل (مجلد ٥٧: ٣٥٣).

كما يقول:

"ورغم حرية الاختيار إلَّا أن إرادة الإنسان تميل إلى الشر" (عظة ١٢ على العبرانيين ٦٣: ٩٩).

وما ذكره القديس كيرلس السكندري يجعلنا نشكُّ في الحكم على بدعة بيلاجيوس في مجمع أفسس ٤٣١ لأن اسمه لم يرد في القوانين الخاصة بالمجمع، ولأن القديس كيرلس السكندري يختلف تماماً عن أوغسطينوس حسبما رأينا في شرح (رو ٥: ٢٢)، وهو ما يجعلنا نؤكد –على الأقل– أن المجمع المسكوني الثالث كان مشغولاً بمشكلة أكبر وهي البدعة النسطورية.

عموماً ليس لدينا قرارٌ مجمعي خاص بتعليم أوغسطينوس، ولا يجب أن تنفرد كنيسة بهذا القرار لأن ذلك يخالف الشركة التي تجمع كل الكنائس الأرثوذكسية في الايمان.

معمودية الأطفال:

الأطفال لا يُعمَّدون بسبب خطية آدم، ولكن لأن هؤلاء دُعوا إلى الملكوت، والمعمودية هي الانضمام إلى جسد المسيح الواحد الكنيسة (١كو ١٢: ١١-١٢)، وهي ختان المسيح (كولوسي ٢: ١١)، أي قبول كل طفل في العهد الجديد. وعلينا أن نعود إلى التعليم الإيجابي الخاص بالبشارة، أي هبة الحياة لا التعليم السلبي الذي يرى

(١) مصير الأطفال الذين يموتون دون معمودية سبق وأشرنا إلى تعدد وجهات النظر في دراسة موجزة على موقع الدراسات القبطية.

الخطية أساس كل شيء ومفتاح كل عطية[١].

علماً بأن تعليم الشرق الأرثوذكسي يختلف عن بدعة بيلاجيوس في عدة نقاط:

١– الإنسان صار لديه ميلٌ طبيعي للخطية بسبب السقوط، وهو فساد الطبيعة الإنسانية.

٢– عدم استطاعة الإنسان العودة إلى الصورة الإلهية بالجهد والإرادة، بل التجديد هو عمل النعمة وهو اتحادٌ بالمسيح الحي.

٣– شركة الإنسان في خلود الله نفسه، سببها إبادة الموت على الصليب، وإقامة الحياة الإنسانية في المسيح.

وعلى وجه العموم، لم يرد فعل "يرث" في الإنجيل المقدس إلَّا بالمعنى الإيجابي، وهو ميراث الأرض للودعاء (متى ٥: ٥)، والحياة الأبدية (مت ١٢: ٢٩)، وميراث ملكوت السموات (مت ٢٥: ٣٤)، وميراث المواعيد (عب ٦: ١٢)، وميراث البركة (عب ١٢: ١٧).

أمَّا عن "الميراث"، فهو خاصٌ بالملكوت وبالبركة (غلا ٣: ١٨، أف ١: ١٤، ٢٨)، والحياة الأبدية (عب ٩: ١٥). أمَّا تعبير "وراثة الخطية"، فقد دخل في الفكر الإنساني من البدعة المانوية التي ترى أن بذرة الخطية تنتقل من الأب والأم بسبب العلاقة الزوجية؛ لأن الوجود في الجسد هو عقابٌ على سقوط الإنسان الذي حدث في العالم الروحي، ولذلك نزل آدم من العالم الروحي إلى الجسد، ولذلك منع ماني، ثم الغنوصيون من بعده، الزواج لأنه نجس.

---

(١) راجع في ذلك بالتفصيل غير موضعٍ في دراستنا عن المعمودية في الكنيسة الجامعة، منشور على موقع الدراسات القبطية واللاهوتية www.coptology.com